

إنه الرابع عشر من آب

اليوم برئت من سقمي

هذا الشاطئ الرملي المنعزل إلا من حجر اقتعدته لم يملأني وحشة كما هي عادة الاماكن الموحشة. هدير موجه يوشوش في اذني مناغاة امير احلام عاشق في اذن عنراء حالمة. انعكاس ضوء القمر فوق صفحة مياهه ينعكس سلماً فضياً على صفحات روعي. الصخور التي تظهر وتختفي تحت غمرة الموج وانحساره تملؤني قوة ورسوخاً رسوخ مخائيل نعيمة في ترداده:

سقف بيتي حديد ركن بيتي حجر
فاعصفي يا رياح وانهمر يا مطر
سقف بيتي حديد ركن بيتي حجر

أغضض عيني فتعود بي الذاكرة خمسين سنة الى الوراء فأرى بركة "رميش" الازلية تخلت عن حلتها الاسنة وصارت مياهها صافية صفاء النفس المطمئنة وأرى حولها الكئيبة العطشى تجلت بالاخضر الصحيح المعافي

اتطلع الى صورة الوالد "أبو سمير" المعلقة على الحائط منذ ثلاثين سنة فأرى ابتسامته تتسع وشفتيه ترتجان حماساً "يحطّ على عيني قائلاً: شفت!... قلت لك إنا لمنصرون.

مستلقية الى جانب حفيدي احكي له حكاية شادي التي كنت احكيها لأمه عندما كانت في مثل سنه وأختمها تاركة شادي ضائعاً خلف الثلج فتحزن الام وتنام كسيرة القلب، أحكيها هذه الليلة وأغير نهايتها فأجعل شادي يعود غزاً لا جميلاً يحمل لإخوته اللوز والسكر فتبرق عينا حفيدي بالفرح وبنام وابتساماً مشعة تغمر وجهه

اتجاهل المصعد واقفز درجات السلم الطويلة فلا احس عجزاً في ركبتي ولا حاجة للاستقواء بالدرابزين ولا تقوساً في عضلات الظهر. ابن الجيران يرقيني بعينين اتسعت حدقتيهما ويركض مهرولاً ليذيع ان العجوز "أم سامر" مسها جني فاعادها ثلاثين سنة الى الوراء

أدخل غرفة الصف ولأول مرة لا أراني بحاجة للتفاخر بخالد ابن الوليد وعمر بن الخطاب. اسمعهم يتهامسون: اين ذهبت عقدة جبينها؟ أين ذهب انحاء كتفيها؟ اين خفتت لهجتها الاعتذارية المتوترة؟ كيف فجأة انتصبت قائمتها وتطاول عنقها زاهياً كزنيقة حقل؟ أتركهم يتساءلون وأغرق في سكينتي وهنائي فحتى لو أجبت فما كانوا "ليفهمون"؟

تخبرني تلميذتي فاطمة ان جدها الذي ذهب لزيارة بلدته "يارون" سيظل هناك ولن يعود فأفاجئها بتعليقي الواصل: طبعاً لن يعود

يطل "جون هاورد" على شاشة التلفزيون ومن بعده جورج بوش فلا تثير طلتهما اشمئزازي ولا امتلى غضباً ولا أصر أسناني لما يرهفون، فالنفس مشغولة بهنائها... أه لو يعلمون

ادخل مكنتي في الجامعة فتلقاني زميلتي الجزينية "نجمه حجار" بهية كنجمة صبح هازجة كجوقة حساسين:

منرفض نحنا نموت. ارضك والبيوت هاو إلنا يا جنوب. يا حبيبي يا جنوب

رميش: قرية حدودية متطرفة تشكو قلة المياه ومن بعدها الجفاف والفقر
يارون: قرية حدودية كان لها حصّة كبيرة في عدد الضحايا والتدمير
الجزينية: نسبة الى البلدة الجنوبية جزين

نجمه خليل حبيب
سدني استراليا

